الفصل الثاني : فن الترسُّل عند العرب

المبحث الأول : مفهوم الترسل

المطلب الأول : الرسالة لغة

جاء في لسان العرب :((رسل الرسل القطيع من كل شيء والجمع إرسال، والرسل :الإبل هكذا حكاه أبو عبيدة من غير أن يصفها بشيء. قال الأعشى (من البسيط) يسق رياضا لها قد أصبحت غرضا زورا تجانف عنها القود والرسل و الرسل قطيع بعد قطيع، والجمع إرسال .

قال الراجز من (البسيط):

يا ذائد يها خوصا بإرسال ولا تذودا ها ذاياد الظلال

ورسل الحوضى الأدنى : مابين عشر إلى خمس وعشرين ،ويذكر ويؤنث والرسل قطيع من الإبل قدر عشر يرسل بعد قطيع .

وقد قال رسل رسلا ورسالة ،وشعر رسل: مسترسل الشعر .

أي صار سبطا ،نقول ناقة مرسال : رسالة القوائم كثيرة الشعر في ساقيها طويلتان .

والإرسال :التوجيه ، فقد أرسل إليه ، والاسم الرسالة و الراسلة الرسول والرسل .

أنشد ثعلبة من (الطويل) :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى ولا أرسلتهم برسل ولرسول بمعنى الرسالة يذكر ويؤنث فمن أنت جمعة أرسلا قال الشاعر : قد أتيتها أرسلي .

ويقال هي رسولك وتراسل القوم : أرسل بعضهم إلى بعض والرسول والرسالة والمرسل ، وأنشد الجوهري في الرسول رسالة للأسعر الجعفي من (الوافر):

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا بأني عن فناحتكم غني ونسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي رسالة وأرسلت فلان)) [1].

الرسالة هي لفظة مشتقة من الفعل (رسل) وقد وردت في القرآن الكريم في **قوله تعالى** :

((**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ**))[2]

قوله تعالى :((أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) [3].

كما تحدث (قدامه بن جعفر) في مؤلفه "نقد النثر" عن اشتقاق لفظة الرسالة والترسل بقوله : (الترسل من تراسلت أترسل ترسلا، ولا يقال ذلك إلا لمن كان فعله الرسائل قد تكرر وأرسل يراسل مراسلة فهو مراسل وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة ، وأصل الإشتقاق في ذلك أنه كلام يراسله به من بعد وغاب فانشق له اسم الترسل والرسالة من بعد ذلك[4]أما ابن منظور فعند كلامه عن لفظه الرسالة وجاء في معانيها قال (فهي من الفعل (رسل) ومنها الرسالة ، والرسول و الرسيل ويقال ترسل في القراءة بمعنى تأن ولا تعجل ...) [5]

[1] ابن منظور جلال الدين بن مكرم ، لسان العرب دار صادر بيروت ط1 1997 ج3 مادة أرسل
[2] القرآن الكريم سورة يوسف الآية 19.
[3] القران الكريم سورة مريم الآية 83 .
[4] أبو فرج قدامه بن جعفر ، تنقد النثر دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 1982 ص 95 .
[5] ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت ط1 مادة رسل مج 11 ص 283.284 .

وجاء في معجم تاج العروس للزبيدي في مادة رسل (بأنها لفظة مشتقة منها الإرسال ، بمعنى التوجيه وبه فسر إرسال الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام ، كأنه وجه إليهم أن انذروا عبادي ومنه الاسم الرسالة بالكسرة والفتح والرسول و الرسيل .... والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه وأيضا تراسلوا ،بمعنى أرسل بعضهم إلى بعض [1] .

ويؤكد الفيروز أبادي نفس المعنى فيقول : (والإرسال التسليط والإطلاق والإهمال ، والتوجيه والاسم الرسالة بالكسر والفتح) [2]وفي كتاب كشاف اصطلاحات الفنون يقول التهانوي عن الرسالة ((الرسالة في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير وخصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية والفرق بينهما وبين الكتاب على، ما هو المشهور إنما بحسب الكمال والنقصان فالكتاب هو الكامل في الفن والرسالة غير الكامل فيه)[3].

إذن ما نستخلصه من هذا ، التعريف أن الرسالة لها معنيان أصلي واصطلاحي فالأول يستفاد منه أن الرسالة هي الكلام أو الخطاب الذي يوجه إلى الغير .أما معناها الاصطلاحي فالرسالة تصبح دالة على البحوث أو الدراسات العلمية التي تتناول قضايا محددة في اللغة أو الأدب أو الفقه أو الفلسفة أو غيرها من المحالات ، ومن الذين أكدوا على المعنى الأصلي ابن وهب الكاتب : الذي يقول :(والاسم والرسالة ، أو راسل يراسل مراسلة فهو مراسل .... وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به بعيد ....)[4] .

[1] الزبيدي محمد مرتضي الحسني ، تاج العرس من جواهر القاموس تحقيق نواف الجراح دار الأبحاث ط1. 2011، ص 501-503 .
[2] الفيروز أبادي القاموس المحيط ، ظبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي دار الفكر بيروت ط1 ، 2003 ص 905 .
[3] محمد علي بن علي التهانوي ، كشاف إصطلاحات الفانون ، دط ، دت، ج2 .ص 584 .
[4] ابن وهاب الكاتب ، البرهان في وجوه البيان ص 152 .

ومن خلال تعريف ابن وهب فانه يحدد دواعي التراسل وظروفها في أمرين هما : البعد والغياب ويتضح أن الرسالة في الأدب والفكر العربيين دلالات ثلاثا : دينية –شرعية –علمية وأدبية[1].

المطلب الثاني: الرسالة اصطلاحا :

الرسالة قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه وقد يتخللها ،الشعر أذا رأى لذلك سببا ، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يستشهد به من شعر غيره ،وتكون كتاباها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق ، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة [2] كما يتخلل رسائل أو أمثال أو حكم ...

- الترسل مصطلح أدبي يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل قد تكون رسمية أو إخوانية أو أدبية تصدر من كتاب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة يترجمها لكلمات يؤلف بينها لتكون جملا وفقرات ، بأسلوب فيه تؤده وسهولة ورفق من المرسل إلى المرسل إليه ،ومنهم من يقول: (الترسل من المصطلحات الأدبية المولد،ويراد به كتابة الرسائل)[3].
- ومنهم من قال (هو فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص أخر أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي أخر) [4]

[1] ابي الحسن بن مسعود اليوسي رسائل ، جمع وتحقيق ودارسة فاطمة خليل القبلي ، دار الثقافة ط1 ، 1981، ص 11.
[2] عبد العزيز عتيق الآداب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ط2 بيروت 1976 . ص 448 .
[3] علي جميل مهنا الآداب في ظل الخلافة العباسية ط1 1983 ص 122 .
[4] حسين غالب بيان العرب الجديد دار الكتاب البناني ط1 . 1971 ص 181 .

وفي رأي " قدامة " ما يدل على أن الترسل كان صناعة ومهنة لا يحترفها إلا من رسخت قدمه في الأدب ، وكان صناعة فضلا عن الصفات ، كالصدق والنزاهة والإخلاص وما إلا ذلك (...ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر..)[1]

- الترسل يأخذ معنى كتابة الإنشاء ، قال " القلقشندي " : (فأما كتابة الإنشاء ، المراد بها كل مرجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام ، وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات المساحات و الإطلاقات ،ومناشير الإقطاعات ، والهدن والأمانات و الإيمان وما في معنى ذلك كتابة الحكم وغيرها).[2]

وكما رأينا سلفا الأدباء القدامى ، وفصلوا في هذا الجانب وأفاضوا فيه فان المحدثين هم بدورهم أدلوا بدلائهم ، وكان لهم ما قالوه، قال أحدهم أن الرسالة " هي ما يكتبه امرؤ إلى أخر معبرا فيه عن شؤون خاصة أو عامة وينطلق فيها الكاتب عادة عن سجينته بلا تصنع أو تأنق وقد يتوخا حين البلاغة والغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع . " [3]

أما حسين علي محمد فيعرفها بقوله : " فن من الفنون النثرية، القولية عرفها العرب منذ القدم وهي مثل الفنون الأخرى كالقصة ، المسرحية والسيرة ..... لها خصائصها الميزة تجعلها فناقائما بذاته " .[4]

[1] قدامة ابن جعفر نقد النثر تحقيق طه حسين دار الكتب المصرية د ط ، دت، ص 09 .
[2] القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ج1 دار الكتب المصرية القاهرة 1922 ص 54 .
[3] جبور عبد النور المعجم الآدابي دار العلم للملاين ط1 بيروت 1972 ص 122.
[4] حسين علي محمد التحرير الآدابي دارسات نظرية ونماذج تطبيقي مكتبة العبيكان الرياض ط6 . 2005 ص 151 .

فن الترسل معروف منذ القدم كذلك عند الأمم الأخرى ، وحسب وما جاء في الموسوعة العربية فإن أعتق الرسائل التي وصلت إلينا رسالة بابلية كتبت على لوح آجري محفوظ . ضمن غلاف من آجر أيضا . نجد كذلك الآداب الغربية عن الذات الكاتبة ، مغالبة منها للبعد والغياب) .

وكذلك : (الرسالة وسيلة إتصال طبيعة بين صديقين غائبين) وأيضا الرسالة وسيلة :(هي محادثة مكتوبة بين شخصين متباعدين).[1]

قال بان خلدون في مقدمته ، متحدثا عما يجب في مقدمته ، متحدثا عام يجب أن يكون عليه كاتب الرسائل من أخلاق وصفات يقول :(أعلم أن صاحب هذه الخطة لابد أن يتخير من طبقات الناس ، وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة ، فأنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ، ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك .مع تدعو إليه عشرة ملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل ، مع ما ينظر إليه في التراسل وتطبيق ، مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها .) [2]

وقد يطلق على والمكاتب أعظم من كتابة الإنشاء صناعة الترسل ، تسميته للشيء بأعم أجزائه إذ الترسل والمكاتبات أعظم من كتابة الإنشاء وأهمها من حيث إنه لا يستغني عنها ملك ولا سوقة [3].

وقد يعني الترسل الخصوصية في الإنشاء . قصد معرفة أحوال الكتاب والمكتوب إليه ، من الأدب

[1] آمنة الدهري ، الترسل الآدابي بلمغرب ، النص والخطاب منشورات كلية الآداب ط1 المحمدية المغرب ط1 ، 2003 ،ص 103 .
[2] ابن خلدون المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بير وت لبنان ط1 . 2004 ، ص 247 .
[3] القلقشندي صبح الأعشى ج1 . دار الكتب المصرية القاهرة ، 1922 ، ص 03 .

العربي والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة وهو الذي يتغير مع العصور ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لأن أساليبها متشابهة [1] .

إذن لو ننظر لهذه التعريفات القصيرة المختصرة يتضح لنا أن الرسائل مهما إختلفت اللغات التي نكتب بها ، فإن القصد والهدف منها هو المحافظة على التراث والتواصل بين أفراد المجتمع عن طريق الكتابة .

المطلب الثالث : الترسل والخطابة

للترسل ارتباط بغيره من فنون النثر الأخرى،خاصة الخطب لما بينهما من تشابه و تشاكل في جوانب عديدة و في ذلك يقول صاحب الصناعتين : و اعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن و لا تقفية ،و قد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ الفواصل،فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة، و كذلك فواصل الخطب،مثل فواصل الرسائل لا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها، و الرسالة يكتب بها،و الرسالة تجعل خطبة،و الخطبة تجعل رسالة،في أيسر كلفة،و لا يتهيأ مثل ذلك في الشعر من سرعة قلبه و إحالته إلى الرسائل إلا بكلفة،وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان شعراً إلا بمشقة.

ومما يعرف أيضاً من الخطابة و الكتابة((أنهما مختصتان بأمر الدين

والسلطان،وعليهما مدار الدار ،و ليس للشعر بهما اختصاص .أما الكتابة فعليها مدار السلطان[1] .))

[1] جورجي زايدن كتاب تاريخ لآداب اللغة العربية مطبعة الهلال ،ج2 ، 1930 ، ص34 .

و دائما في مجال ذكر الأشياء التي تجمع بين الرسالة و الخطبة فإن كليهما موجه إلى مرسل إليه يتلقى المضمون و يفهمه كما أن الخطبة والرسالة تلتقيان في مسألة الإبلاغ((...فينقل مضمون معين إلى فرد أو جماعة و لكن الخطبة تختلف عن الرسالة في عدة أمور أهمها :

- أن الخطبة غالبا بنت البديهة و الارتجال و، هي بنت ساعتها أو لحظتها بلا إعداد أو تهيؤ أما الرسالة فيسبقها التأني و تتطلب إعمال العقل،وقد تقتضي المراجعة والمعاودة.
- إن عنصر الفكر في الرسالة يكون في الأغلب الأعم . أحُضر و أقوى منه في الخطبة .
- الرسائل أدل وأصدق في التقييم الفكري و الفني و أقدر على تحديد ملامح صاحبها من الخطب،لأن الخطب،تنتقل . غالبا. مشافهةً و قد لا تسجل الخطبة .

إلا بعد مضي عشرات من السنين .أما الرسائل فهي أبقى وأثبت على الزمن،لأنها "وثائق" مسجلة مكتوبة [2]) ... » وقد احتلت الرسائل في كل عصر حيزاً من اهتمام الأدباء والموظفين والأصدقاء و الأحباء ومن العادة أن تقسم الرسائل إلى رسمية ديوانية و إخوانية [3]. »

المبحث الثاني : أنواع الرسائل وخصائصها

المطلب الأول : الرسائل الديوانية

تسمى الرسائل التي تصدر عن الديوان الرسائل ، والرسائل الديوانية نسبة إليه ،يقول عبد العزيز عتيق [1] :(وهي الصادرة عن ديوان الخليفة ، والأمير يوجهها إلى أعدائه أحيانا منذراً متوعدا كما ينبئنا ، الشرين الرضي في وصف رسائل أبي إسحاق الصابي :

---

[1] أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين،الموسوعة الشعرية،المجمع الثقافي،الإمارات العربية المتحدة،الإصدار الثالث،،2003ص260.

[2] جابر قميحة،أدب الرسائل في صدر الإسلام،ج،1عهد النبوة، دار الفكر العربي،ط،1 12.م،ص 1986،هـ1406

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج ،2ط2 مال، ؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985م،ص1.

وصحائف فيها الأراقم كمن مرهوبة الإصدار والإيراد

حمر على نظر العدو كأنما بدم يخط بهن لا بمــداد

وتتوزع هذه الرسائل فهي تشمل : أيضا التي تصدر مشتملة على تولية العهد ، وتولية القضاء والولاة ، وما يتصل بأمور الرعية ، كما أنها تشمل أيضا الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الوزير إلى من هو مثله من أجل التهنئة أو البشارة أو التعزية أو المعاتبة أو ما شابه ذلك)[2] .

ومن أنواع الرسائل الديوانية أيضا: (رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قادتهم يكلفونهم فيها بالغزو، ويزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ،واعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية فكان الكاتب يضمنها الآيات التي تتحدث عن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله لحماية دينه وإعلاء شأنه ،كما كانت تتحدث عما ينتظر المجاهدين منع الثواب ونعيم في الدارين.)[3]

موضوعات الرسالة الديوانية :لها موضوعات عديدة ، ومتنوعة وكان منها ما ذكرناه آنفا كالجهاد بالإضافة إلى رسائل الفتن والاضطرابات الداخلية التي شاهدتها الدولة الإسلامية بعد التشتت والتمزق الذي أصابها، كما كانت مبايعة الخليفة من الموضوعات التي تناولتها الرسائل الديوانية ،وكانت رسائل المبيعات إلى الإطناب والتطويل وكان الكاتب ،يسهلها بالتحميد وكثيرا ما يطيل في تحميداته حتى تشبه خطبة دينية قائمة بذاتها). [4]

[1] عبد العزيز عتيق ، في النقد الآدابي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيرو ط2 . 1972 ، ص 223.
[2] مرجع سابق ص 223 – 224 .
[3] فوزي سعد عيسى ، الترسل في القرن الثالث الهجري ، دار المعرفة الجامعية 1991 . ص 18 .
[4] فوزي سعد عيسى ، الترسل في القرن الثالث الهجري ، دار المعرفة الجامعية 1991 . ص 24 .

ويتصل بهذا اللون ما كتبه كتاب الدواوين (في التهاني لما تحقق من فتوحات وظفر أعداء المسلمين وكان استهلال رسائل التهنئة بالفتوحات سنة متبعة بين الكتاب حتى تكاد تقترب في هذه السمة من الخطابة الدينية التي تجرر على هذه الطريقة من استخدام التحميدات والإكثار منها وتضمنت الرسائل الديوانية أو الخلفاء بتوليه من يختارونهم من الولاة أو اعزلهم ، وكانت هذه الرسائل أشبه بمنشورات يوجهها الكاتب باسم الخليفة إلى عماله في الأصقاع المختلفة ويتصل بالرسائل الديوانية ما كان يكتبه الكاتب إلى الولاة بتوجيهات من خلفائهم يذكرونهم فيها بمسؤوليتهم في المحافظة على الأمن ومتابعة شؤون وأحوال الرعية والعمل على استقرار الأمور[1])

ومن الرسالة الديوانية نذكر رسالة النبي عليه الصلاة والسلام إلى ملوك والأمراء مثل رسالته إلى هرقل وكسرى والنجاشي .

المطلب الثاني : الرسائل الإخوانية

لا يوجد ما نستطيع تسميته إخوانيات الجاهلية وفي الصدر الأول من الإسلام لم نكد نجد شيئا من الرسائل الإخوانية ماعدا رسالة إخوانية للنبي صلى الله عليه وسلم وهي رسالة تعزية في وفاة ابن معاذ بن جبل وكان نصها كالأتي :((من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل :سلام عليك فاني احمد إليك الله الذي لا اله إلا هو أما بعد : فعظم الله لك الأجر ،وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر ، ثم أن أنفسنا وأهلنا وموالينا من مواهب، الله السنية و عوارفه المستودعة ،نتمتع بها إلى اجل معدود ، ونقبض لوقت معلوم ،ثم أفترض عليا الشكر إذا أعطى ، والصبر ابتلى منك بأجر كثير :الصلاة والهدى إن صبرت ،واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ فصلتين :أن يحبط جزعك

[1] المرجع السابق ص 26-27 .

صبرك ،فتندم على ما فاتك ،فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد أطلعت ربك و تنجزت موعدة عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه ، وأعلم أن الجزع لا يرد ميتا ،ولا يدفع حزنا ، فأحسن الجزاء وتنجز الموعد ، وليذهب أسفك ما هو نازل بك))[1].

ويطلق أسم الرسائل الإخوانية على الجميع غير الديوانية ،وهي التي يكتبها الناس بعضهم لبعض في موضوعات أخوانية كالتهنئة والتعزية ،والبشارة ،والعتاب وغير ذلك من أمور الحياة يقول القلقشندي:(الإخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الأخوان والمراد المكاتبة الدائمة بين الأصدقاء)[2].

أما أنواع الرسائل الإخوانية عند القلقشندي فهي سبعة عشر نوعا :

((التهاني والتهادي والتعازي والشفاعات والشوق و الإستزارة ، وأختطاب المودة وخطبة النساء والاستعطاف ، والاعتذار والشكوى و إستماحة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض والأخبار والمداعبة))[3].

ولا نجد في طيات الكتب التي تحدثت عن هذا النوع من الرسائل أية إشارة إلى ما كتب في لعصرالجاهلي، و لعل السبب يعود إلى قلة الكتاب في ذلك الزمن أو إلى عدم اهتمام الرواة بما كتب لانشغالهم بالشعر الذي روي منه شيء كثير و على ثقافة المشافهة التي كانت سائدة آنذاك و أمافإن ما وصلنا منه رسالة إخوانية للنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا سابقا، في صدر الإسلام و قد ضاع أكثر رسائل العهد الأموي من هذا النوع و ما بقي منها فهو في النصح و الإرشاد و العتاب و التعزية و الإعتذار و الشفاعة و الرجاء و تبادل الآراء ومن هذه الرسائل

[1] حسن نصار ، نشأة الكتابة الفنية في الآداب العربي ص 79 .
[2] القلقشندي صبح الأعشى ج8 . ص 126 .
[3] المرجع السابق ج 9 ، ص 5 .

رسالة محمد بن الحنفية إلى أخيه الحسين حين افترقا متخاصمين و أراد محمد مصالحته والرسائل الإخوانية ينشئها الكتاب فقد :((... كانوا يتراسلون فيما بينهم متخذين من الرسائل وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم وما تتعرض له أحوالهم النفسية من نوازع متضاربة فصوروا فيها ما يعتريهم من شوق وفرح و ما يعترضون له من أحزان وأفراح ، وما بداخلهم من رضا وغضب وموضوعات الرسائل فأصبحت تعكس عواطف الكتاب والصداقة والشرق والبشارة والفراق و الأستعطاف ... وغيرها وتنافس الكتاب في إظهار براعاتهم في هذا اللون من الرسائل فوفروا لها عناصر المتعة الفنية من تصور وصياغة وموسيقى، فجمعت بين المتعة الوجدانية والمتعة الفنية وأحدثت بذلك تأخيرا قويا في نفوس الناس مما جعل بعض الشعراء ينجذبون إليها ويتخذونها وسيلة لتصوير عواطفهم بعد أن أصبح كثيرا من الناس يفضلون المنثور على المنظوم)).[1]

موضوعات الرسائل الإخوانية : تدور معظم موضوعاتها حول الجانب الإنساني وما يرتبط من صداقة وأخوة وعواطف نبيلة كما عبرت عما كانت بين بعض الأصدقاء من تبادل الهدايا على اختلافها ، لكن يبقى موضوع الصداقة ... ومن أبرز الموضوعات التي اجتذبت الكتاب ليعبروا في رسائلهم عن هذه العاطفة الإنسانية النبيلة وأشادوا بروابط الإخاء والمودة ، التي تنعقد بينهم ومن بين الجوانب التي تطرق لها التراسل الإخواني :

الجانب الاجتماعي : كالرغبة في التلاقي للمسامرة أو المنادمة « اتسعت الرسالة الإخوانية للموضوعات المتصلة بالصداقة ، أو الإتناس، و عبرت ذلك عن بعض العادات الاجتماعية التي

[1] فوازي سعد عيسى ، الترسل في القرن الثالث الهجري ، دار المعرفة الجامعية .1991 ص 35 .

شاعت بين الكتاب آنذاك كتبادل الهدايا من كتب و زهور و خيول و سيوف و غيرها. و اتخذ الكتاب الرسالة الإخوانية أداة لتوجيه الشكر إلى إخوانهم أو معروف أحاطوهم به . [1]))

و لم تقتصر الرسالة الإخوانية على ما سلف ذكره من موضوعات بل امتدت إلى موضوعات أخرى تناولت موضوع »..... لتشارك الشعر و فنون أخرى في ما طرقت من موضوعات و أغراض(الإعتذار) باعتباره يمثل صورة من صور العلاقة المتبادلة بين الكتاب، فكان الكاتب يعتذر عن تلبية دعوة أو المشاركة في إحدى المناسبات ذاك ذاكرا التي حالت دون تلبيته دعوته و طوع الكتاب الرسالة الإخوانية لموضوعات أخرى كالوصايا و التشفع فكان الكاتب يوجه رسالة إلى بعض إخوانه يسألهم فيها إنجاز أمر يتعلق بأحد معارفه أو أصحابه، و كانت هذه الرسائل تشبه ببطاقات التوصية و فيها يعتمد الكاتب للإيجاز و عرض سألته في عبارات قصيرة.و كانت التهاني من الموضوعات التي شغلت مساحة من الرسائل الإخوانية لتعكس بذلك عادة اجتماعية وثيقة الصلة بالمجتمعات المتحضرة، فكثرة التهاني بالولاية و غيرها من المناسبات الاجتماعية السارة كالزواج، و الإنجاب و العودة من السفر والشفاء من المرض و عكست هذه الرسائل عمق العواطف المتبادلة بين الكتاب كما أظهرت براعة بعض الكتاب في التعبير عن معانيه، و قد عمد الكتاب في «تهانيهم للإيجاز لتصبح رسائله أقرب إلى بطاقات التهنئة المتداولة في وقتنا الحاضر.[2]

[1] المرجع نفسه، ص: 63- 61 .

[2] أحمد بدوي،" أسس النقد الأدبي عند العرب"، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1532 م، دط، ص6 .

و الجدير بالذكر أن الرسائل الإخوانية لم يشترط النقاد في صوغها و بنائها شروط دقيقة ملزمة، و إنما أطلقوا فيها العنان للكتاب للتعبير عن خواطرهم و مشاعرهم من غير قيد، لأنه ليس بين الإخوان ما يدعو إلى التكلف في الخطاب، مما جعل النقاد يفشلون في وضع قواعد و ضوابط ملزمة لكتاب الرسائل ((و قد حاول النقاد أن يضعوا معالم يهتدي بها الكتاب في كل ضرب كما يبينه أحمد بدوي من ضروب الرسائل الإخوانية، و لكنهم في كثير من الأحيان يعترفون بالعجز عن وضع هذه المعالم «بدقة » [1] ، و هذا ما جعل الترسل الإخواني أكثر أدبية وأكثر جمالا من الترسل الديواني و جعل رسائله أدخل في الأدب، و أقبل للتخييل و الصور البيانية، و الصنعة البديعية، تحتمل الاقتباس من المنثور و «المنظوم و تنافس الشعر في جل أغراضه)).

الوعظية :و هناك رسائل أخرى ليست ديوانية و إنما هي رسائل وعظية، و نعني بها تلك التي يكتبها بعض الأتقياء إلى بعض الحلفاء و السلاطين و الأمراء ،يحثونهم على الصلح و التقوى و والرأفة بالرعية، و الاستعداد للموت، و ما أشبه بذلك، و من أمثلة ذلك: ما كتبه أحد أئمة الفكر الإباضي، الإمام عبد الله بن أباض إلى عبد الله بن مروان و هي رد منه على رسالة بعث بها إليه مع سنان بن عاصم .

التعليمية:بالإضافة إلى الأنواع المذكورة سابقا ن هناك نوع آخر من الرسائل خصص للحديث عن بعضالموضوعات الأدبية أو العلمية أو الدينية أو التاريخية ، و هذا النوع من الرسائل مدخل في باب التأليف و لا يدخل في باب الترسل، و من الرسالة القشيرية في التصوف و بعض الرسائل

[1] محمد مسعود جبران،" في فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب"، المجلد4 ، دار المدار الإسلامي، ط1 , ص125 110 :

أبي العلاء المعري مثل: رسالة الغفران و رسالة الصاهل، و الشاجح، و رسالة الملائكة. و قد عرف هذا النوع بالرسائل الأدبية، و كان الجاحظ أمير بيانه من غير منازع .((و تعد رسالته التربيع و التدوير التي كتبها في هجاء أحمد بن عبد الوهاب أشهر الرسائل الأدبية إذ فتحت الباب لمن جاء عده من الكتاب للإبداع في هذا اللون من الترسل في المشرق و المغرب و الأندلس على السواء و هذا النوع من الرسائل أشبه ما يكون بالمقابلات في العصر الحديث، و فيها يتناول الكتاب موضوعا خاصا أو عاما تناولا أدبيا، مبنيا على إثارة عواطف القارئ و مشاعره، و هي لا توجه إلى شخص بذاته، و إنما يكتبها الكاتب ليقرأها الناس جميعا[1].))

المطلب الثالث : خصائص الرسائل البنائية

بعد أن تحدثنا عن أنواع الترسل ، سنتكلم عن الخصائص البنائية لهذه الرسائل وما يشتمل عليه كل جزء من أجزاء الرسالة ، من المقدمات إلى المضمون إلى الخاتمة وما ينبغي أن تشتمل عليه تلك الأجزاء .

أ/ بنية المقدمات :

عرف البناء الهيكلي للرسالة تطورات مختلفة خلال مسيرته في تاريخ الأدب العربي، منذ رسالة عبد الحميد الكتاب إلى موسوعة أبي العباس القلقشندي مرورا بغيرهما من المؤلفات

[1] عبد العزيز عتيق، "في النقد الأدبي"، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط 1651،4ه،1554 م، ص14. :
*ينظر نص الرسالة في كتاب أبي الربيع سليماني الباروني، "مختصر تاريخ الإباضية"، الضامري للنشر و التوزيع، 3ط ،2003ص 131

التي نظرت لهذا اللون الأدبي، و عن هذا الاختلاف يقول الكلاعي : ((ونظرت .... أعزك الله في صور الرسائل و استفتاحاتها فوجدتها أيضا تختلف))[1] ومقدمات الرسائل الديوانية كانت أو الإخوانية ، تشمل البسملة والصلاة على النبي " صلى الله عليه وسلم " على المرسل و المرسل إليه ، وتتضمن الدعاء إضافة إلى التحية التي تذكر قبل البعدية وقبل الختام .

وتختلف إستفتاحات الرسائل ، ويختار الإستفتاح المناسب لمنزلة المرسل إليه فقد يذكر مقدما عن المراسل بصيغة : لفلان من فلان وقد يؤخر ذكره فا يكتب من فلان لفلان ، وتكون في حالات أخرى بإيراد كنية المرسل إليه أو رتبته ، غير أن كل الإستفتاحات كانت ترعى فيه لجودة والبراعة لأنه تقع في البداية وهي أول ما يطرق السمع من الكلام قد كان يلجأ إلى المنظوم فتبدأ الرسالة بأبيات شعرية لكاتبها أو لغيره تدل على المضمون العم لها وتختصره في كلماتها، و كثيرا ما يلجأ الكتاب الإشارة إلى غرض الرسالة في مطالعها ومقدماتها كعملية ربط و حسن تخلص.

ب- بنية المضامين :

ينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم وبحسن تخلص لترك الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم ، وغالبا يقع حسن التخلص بصيغة : أما بعد و هي وقف بين الإبتداء والشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة ، وقد تنوعت المضامين في الرسائل بنوعيها الإخواني و الديواني و مست مختلف جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية فكان كتاب الدواوين يكتبون بتولية القادة والقضاة والأمراء وفي الإخواني يتبادل الأصدقاء الرسائل و يتطرقون فيه إلى الشوق و الإعتذار والتهنئة بالزواج والمولود الجديد والتعزية والشكر والدعوة إلى حضور المناسبات وغيرها .

[1] آمنة الدهري، "الترسل الأدبي بالمغرب،" مرجع سابق ذكره، ص 37.

ج- بنية الخواتم و النهايات:

خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها و يكون في الغالب بلفظ " السلام " أو "السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته» و تكون مسبوقة بالدعاء، كما تشتمل كثير من الرسائل التأريخ باليوم و الشهر و السنة كعلامة على انتهاء الرسالة إن كانت بعض الرسائل تؤرخ في البداية و يتم التأريخ بما مضى من الشهر باعتباره معلوما و يشترط في الاختتام ما يشترط في الابتداء من جودة و حسن لأنه آخر ما يتبقى في الأسماع ،[1]على أن هذه العناصر البانية للهيكل العام للرسائل غير ثابتة و مستقرة، فقد يخرج الكتاب عنها في بعض الحالات .

و إذا نظرنا إلى الرسائل التي كتبت في العهد الرسول صلى الله عليه وسلم موضوع بحثنا نجد تلك الرسائل تشتمل على هذه العناصر التي دأب الكتاب على إتباعها في كتابة رسائلهم، إلا أن الرسائل النبوية التي وقعت بين أيدينا اشتملت على:

البسملة و الصلاة على النبي – صلى الله عليه و سلم – و الحمدلة و ذكر المرسل و المرسل إليه و الموضوع المطروق في الرسالة، هذا بإيجاز ما يمكن أن نقوله عن فن الترسل في تاريخ الأدب العربي منذ أن عرف العرب هذا اللون من الفنون النثرية، إلى ما وصل عليه الآن وحدوث تغير جذريا بسب التطور و الإزدهار.

[1] محمد توات، " أدب الرسائل في المغرب العربي، ص681 :و وما يليها

المبحث الثالث : الترسل عند العرب

للحديث عن أولية الترسل وكيف وصل إلى مكانة مرموقة ،سامية بين فنون النثر العربي .يلزمنا المرور عبر مراحل النشأة والتي نستطيع من خلالها معرفة فكرة واضحة عن بنائية الترسل وما وصل إليه من درجة رفيعة من الرقي ،وسيكون ذلك عبر المراحل التالية:

- مرحلة العصر الجاهلي
- المرحلة النبوية
- مرحلة الخلفاء الراشدين

إن هذه المراحل المختلفة والمتتابعة عبر الزمن شكلت مواقف مهمة وعظيمة في تاريخ الأدب العربي والنثر العربي ونركز الحديث عن الجوانب الفنية للترسل من بدايته فنيا عبر الأدب العربي إلى وصوله إلى مرحلة النضج والاستقرار .

المطلب الأول : الترسل في مرحلة الجاهلية

النثر الفني المنمق ليس أقل تعبيرا في كثير من الأحوال على أدق مشاعر الإنسان وعواطفه القلبية وليس هناك شيء آخر يعبر عنه بالشعر و إلا وللنثر إمكانية التعبير عن مثله وليس هناك من صورة في الشعر إلا ويكون للنثر أقدر على تصويرها ووصفها في كثير من الأحاسيس.

لأن الشعر لغة معقدة ومقيدة أما النثر لغته مبسطة وأكثر حيوية وأقدر على الحركة والتعبير إن اجل الباحثين يرون أن العصر الجاهلي لم يعرف من الكتابة وغيرها دون من بعض المعاهدات والأحلاف والعقود التجارية ((أما الكتابة الفنية فلم يعرفها ذلك العصر ولم تصل إلينا منه أية

شواهد، ووثائق كتابة فنية ،إلا في فترة زمنية متأخرة في العصور التي بعده كصدر الإسلام والعصر العباسي))[1].

لكن لو نمعن النظر في هذا العصر نجد أن بذور النثر الفني كانت موجودة لو نرجه إلى السجع الذي كان غالبا في عبارات الكاهن وبعض خطبائهم وربما كانت في طور الإثبات فهناك من يقول:((إن فن الترسل في الأدب الجاهلي ،اتصفت رسائله بالإيجاز والبساطة في التعبير دون صيغة لفظية وكانت عبارة الرسائل وتوصيات وحكم وأمثال كرسالة "المنذر الأكبر " إلى كسرى أبو شروان ورسالة عبد العربي بن قيس الكلبي إلى قومه)).[2]

لقد كان في نثرهم الفني هذا – وإن بدا قليلاً ونادرا – لا يحفلون بانتقاء الألفاظ والتعمق .. المعاني وترتيبها ولا يولعون بالتأنق في ضروع العبارات والميل إلى الإيجاز في الألفاظ والتعمد إلى استيفاء المعنى من غير إخلال وهناك من اعتبر الرسالة كانت قريبة إلى حد ما من الخطبة من غير تنسيق أو إلتزام أسلوب خاص ((لأن العرب عامة كانوا أقدر على الخطابة منهم على كتابة)). [3]

وهناك من أكد على عدم وجد فن الترسل في العصر الجاهلي وأرجع سبب قلة استعمال الكتابة [4]، وصعوبة وسائلها [5] ، يقول الدكتور شوقي ضيف :((العرب استخدموا الكتابة في العصر الجاهلي

[1] علي جميل مهنا ، الأداب في ظل الخلافة العباسية ط1 ، 1981 ص 223 .
[2] أمال داعوق سعد فن المراسلة عند مي زيادة ، دار الأفاق الجديدة بيروت ط1 ، 1986 ، ص 29 .
[3] عمرو فروخ ، تاريخ الآداب العربي – دار العلم للملاين بيروت 1969 ج 1 ص 374 .
[4] محمود مقداد ينظر تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية دار الفكر ط1 دمشق سوريا 1993 ص209
[5] شوقي ضيف ، العصر الجاهلي دار المعارف ط1 مصر ص398

لأغراض سياسية وتجارية لكنهم لم يخرجوا بها لأغراض أدبية خاصة تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون لا يجد لرسائل كنوع من الكتابة الفنية)) .[1]

وحين نؤكد أنه لا وجود لرسائل كنوع من الكتابة الفنية هذا لا يؤدي بنا أن نقول أنه لا توجد ألوان أخرى ، بل كانت هناك ألوان أخرى كالقصة والأمثال ، والخطب ويؤكد ذلك شوقي ضيف بقوله : ((إذا كنا نفتقد والأدلة المادية على جود رسائل أدبية في العصر الجاهلي فمن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطب وسجع الكهان ..)) .[2]

وعدم وجد رسائل فنية ووجود ألوان آخرى راجع إلى طبيعة العصر وطبيعة أهله وما كانوا يمارسونه ، فقد كانوا شغوفين ومحبين بعروض فروسيتهم وشجاعتهم في معاركهم ويقضون معظم أوقاتهم في السهر في الليل وحول خيامهم .[3] وكان فيهم من يعرف الكتابة لكنها كانت تدور حول مصالحهم حيث كانفيهم من أهل البادية من عرف الكتابة فمنهم : ((الأكثم بن صيفي حكيم تميم وخطيبها ، وأبن أخيه حنظله كاتب الرسول صلى الله عليه وسلم و المرقش الأكبر ولبيد بن ربيعة ..[4] وغيرهم وكذلك إنه من الثابت أن العرب في جاهليتهم استعملوا الرسائل بينهم عن بعض شؤونهم الحياتيه ..)) .[5]

من الأدلة التي تثبت عدم وجود فن الترسل في العصر الجاهلي قول شوقي ضيف "" لا نتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي والذي هو عصر التأثر بالفرس .

[1] شوقي ضيف الفن ومذاهبه في نثر العربي دار المعارف مصر ط5 د ت .ص19 .
[2] المرجع السابق ص : 399 .(العصر الجاهلي لشوقي ضيف)
[3] المرجع السابق الفن ومذاهبه ص 15.
[4] محمد يونس في النثر العربي مكتبة لبان ط1 1996، ص 174
[5] المرجع السابق محمد يونس ص 174.

ولا تتقدم بها إلى العصر الجاهلي بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤديده المستندات والوثائق وهو العصر الإسلامي "". [1]

من بين الرسائل التي تداولها بينهم في حياتهم نذكر :

- رسالة "قصي بن كلاب " إلى أخيه من أمه " رزاح بن ربيعة " العاذري وتضمنت هذه الرسالة طلبا من قصي إلى أخيه أن ينصره في زعامته لمكة .
- رسالة من قيصر الروم إلى امرئ القيس بعد أن أنجده بجيش لإعادة ملك أبيه المقتول وقد حملت الرسالة معها حلة مسمومة .

وكانت الرسالة هي : ((إني قد بعثت إليك بحلتي الي كنت ألبسها ليوم الزينة لعرف فضل منزلتك عندي فإذا وصلت إليك فالبسها على اليمن والبركة)) . [2]

- صحيفة الملتمس التي كتبها " عمرو بن هند " إلى عامله في البحرين
- رسالة حنظله بن أبي سفيان إلى أبيه في اليمن

إن الرسائل المدونة في العصر الجاهلية ، قليلة جدا ويغلب عليها الإيجاز و الإقتضاب ، والتركيز وسهولة اللغة ووضوح العبارة .

المطلب الثاني : الترسل في المرحلة النبوية :

مع بزوغ فجر الإسلام والنبوة أخذت الدعوة تنسج من خيوطها أفكارا نيرة من عقول جيل الصحابة الكرام ملؤها الإيمان والعقيدة السمحة التي استطاع نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم من خلالها

[1] شوقي ضيف – الفن ومذاهبه –المرجع السابق ص 104.
[2] خالد الحلبوني فن الرسائل النثرية في العصر العباسي منشورات الهيئة العامة دمشق سوريا .د ط–د ت– ص22–21 .

تغير نسيج العقل الجاهلي من الظلمات إلى نور ليظهر بمهر الحضارة الإسلامية الوليدة و بمأن الإسلام جاء للناس كافة فإن الرسول صلى الله عليه وسلم استقر به المقام في المدينة المنورة وأخذ يرسل الرسائل لدعوة الإسلام والدليل على وجود الرسائل في هذه المرحلة ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**)) [1].

وهذه أول سورة نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم من نزول الوحي تدعوا إلى القراءة والكتابة ومن هذا المنطق أصبح للكتابة اهتمام كبير جدا حيث استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع مواثيقه وعهوده[2] ، وهكذا فالميلاد الحقيقي لفن الرسائل عامة و فن الرسائل السياسية خاصة هو العصر الإسلامي عصر البعثة المحمدية [3] ، قال شوقي ضيف : " الكتابة الرسمية الفنية عند العرب لم تأتي من الخارج فقد نشأت الرسائل الإسلامية والسياسية الجديدة ومشاكلها المختلفة)) . [4]

إذن البداية الحقيقية لنشأة الكتابة والرسائل هي العصر الإسلامي وهذا حسب الكتب الأدبية العربية وهذا راجع للحاجة العصر و أهله والتطور الحاصل لكتابة كثير من شؤون المسلمين .

حاجة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى كتابة الرسائل لنشر الإسلام للناس عامة وخاصة للملوك وحام الدول المحيطة بل والموجودة في عصره عليه السلام إضافة إلى أمراء العرب يدعوهم الإسلام فهذا إن دل فيدل على وجود الكتابة و الاهتمام بها والحاجة الملحة إليها ومن بين الرسائل النبوية التي المرسلة نذكر :

---

[1] سورة العلق القرآن الكريم ، الآية 01.
[2] شوقي صيف ، العصر الإسلامي ، دار المعارف ط 6 القاهرة مصر .د ت .ص 130 .
[3] نبيل أبو علي نقد النثر الهيئة المصرية العامة د.ط سنة 1993 ص263 .
[4] المرجع السابق ص 111.

رسالة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام إلى هرقل ملك الروم [1] ، ورسالته (ص) إلى كسرى [2] ملك الفرس ورسالته (ص) إلى المقوقس عظيم القبط في مصر ، والنجاشي ملك الحبشة [3] ووائل بن حجر في حضر موت وفي جل الرسائل يدو صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام .ورسائل آخرى كالعهود والمواثيق التي أبرمها الرسول (ص) بين المهاجرين والأنصار واليهود في المدينة ، وكالمعاهدة التي وضعها الرسول عليه أفضل السلام بينه وبين قريش لوضع الحرب عشر سنين وما يميز هذه الرسائل عن غيرها مايلي :

وما يميز الرسائل الموجهة إلى زعماء أهل الكتاب بأرق الكلمات التي تدل على ما يتميز به أهل الديانات السماوية ففي رسالته يقول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ((**بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين ...**)) [4].

أما رسالته إلى كسرى ملك الفرس ففيها تذكير بالعقيدة وإنذار وتحذير .

كان نص رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ((**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس – سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إلا الله وأن محمد رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً أسلم تسلم ...**)) . [5]

[1] أحمد صفوت جمهرة رسائل العرب مكتبة البابي ط2 القاهرة 1971 ص 1–37
[2] المرجع سابق ص 40
[3] المرجع السابق نفس الصفحة .
[4] مي يوسف خليف النثر العربي بين صدر الإسلام والعصر الأموي دار قباء للطباعة والنشر ص 32
[5] الطبري ، تاريخ الطبري ط 4 دار المعارف ج2 ص 604 .

وجاءت هذه الرسالة على صيغة فيها تذكير بالعقيدة وإنذار لكسرى لأنه كان مشرك يعبد النار وفاسد للعقيدة .

- أما رسالته للنجاشي كانت مختلفة فقد تميزت بالطول و الاحترام المتبادل بين المرسال والمراسل إليه وكان نص الرسالة هكذا قال : النبي صلى الله عليه وسلم ((**بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من أتبع الهدى أما بعد "" فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا الله هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني ادعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي والسلام على من أتبع الهدى**))[1].

- رسالة النبي عليه أفصل الصلاة والسلام إلى وائل بن حجر الحضرمي تميزت بالبلاغة وصعوبة الألفاظ وغرابتها فإذا قورنت برسائله عليه السلام لغير العرب نجده أنه يخاطب الناس على قدر عقولهم ومن كتابه عليه الصلاة والسلام لابن حجر الحضرمي : ((مِنْ مُحَمَّدٍ رَسولِ اللَّهِ إِلَى الأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ ، وَالأَرْوَاعِ الْمَشَابِيبِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتٍ بِإِقَامِ الصَّلاةِ الْمَفْرُوضَةِ ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَ مَحِلِّهَا ، فِي التَّيعَةِ شَاةٌ ، لا مُقَوَّرَةُ الأَلْيَاطِ وَلا ضِنَاكٌ ، وَأَنْطُوا الثَّبَجَةَ ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ ، وَمَنْ زَنَى مِم بِكْرٍ فَاصْقَعُوهُ مِائَةً وَاسْتَوْفِضُوهُ عَامًا ، وَمَنْ زَنَى مِم ثَيِّبٍ فَضَرِّجُوهُ

[1] المرجع نفسه السابق ص602 .

بِالأَضَامِيمِ ، وَلا تَوْصِيمَ فِي الدِّينِ وَلا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ عَلَى الأَقْيَالِ ، أَمِيرٌ أَمَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ")) .[1]

لقد حققت الرسائل دورها وهدفها في بساطة ويسر على المستوى اللغوي دون صنعت و لا غموض ولا لبس .

- في رسائله عليه السلام لغير العرب نجد التشابه في صيغة الأداء بين مكاني المرسل إليه والمرسل إليه ، مع تواضع المرسل عليه السلام على إظهار عبوديته المطلقة لله عز وجل ودعم عليه السلام كتابته بمنطق الحس، الديني ومحاولة الإقناع بالحسنى من واقع الصيغ الشرطية المتكررة مثل (**أسلم تسلم ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك أجرك ...**)

كما أحاط المنطق البلاغي في هذه المكاتبات أو الرسائل والتي ظهر فيها :

الإيجاز ملائمة أحوال ظروف الدعوة والوضوح والقصد والإقناع والبعد عن التكلفة والصنعة .

- أكدت الرسائل على عموم الرسالة النبوية إلي البشرية أن الدين الإسلامي هو دين عالمي وهو لكافة الناس ، وكل ما وجد في عصر النبوة من رسائل إلى الملوك والأمراء ، والعهود والمواثيق بين المهاجرين والأنصار واليهود أو بين الرسول وكفار قريش مكتوب في عهد المرحلة النبوية أو هو كتابة الترسل النبوي أو إلى الترسل الراشدي وما بعده.

يقول الدكتور طه حسين لتقليل من معرفة العرب في عصر النبوة بالكتابة وكلامه خص به معاهدة المسلمين والأنصار حيث قال :(...كانت كتابة قوم لم يتعودوا أن يؤدى أغراض سياسية

[1] الجاحظ البيان والتبين مكتبة الخانجي ج 2 ص 27 .

بهذا النوع من الأداء ، إنما كانت تؤدي بالأحاديث ، فكتبت في الصحف كما كانت ترد في الأحاديث ..) .[1]

لكن حين نتفحص رسائله عليه أفضل الصلاة والسلام خاصة التي المترسلة الأمراء العرب يرى مدى الفصاحة والبلاغة والبيان مثل ((رسالة وائل بن حجر))رغم أمية النبي عليه السلام ، روي أنه قيل ((الأمية في رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة وفي غيره نقيصه)) .[2]

والصحابة رضي الله عنهم وكانوا مشاعل وضاءة في الفصاحة العربية.

وهناك من يريد أن يسمي الترسل النبوي بالسمات ذاتها في العصر الجاهلي فتقول : "أمل داعوق" سعد بهذا الصدد : (مع ظهور الإسلام ، ظهرت الدعوة الإسلامية النبوية وهي تكاد تتسم بصفات الرسائل الجاهلية ، وإضافة استعمال ألفاظ مناسبة لحال المخاطب).[3]

والذي يطالع رسائله صلى الله عليه وسلم يلاحظ تشابه في نص الرسائل ذات الموضوع الواحد وان أختلف الكاتب مثل رسائل الأمان التي كتبت من سيدنا علي رضي الله عنه أو التي كتبها معاوية ، رضي الله عنه كلها متشابهة تشابها يكاد يتطابق المهم عندهم إفهام المكتوب إليه .

مع استعمال معان سهلة وأسلوب أسهل ،ولهذا فهي تخرج عن الكتابة الفنية لأنها مرتجلة سريعة مملاة بلغة سهلة هي لغة الحديث)).[4]

ونشير إلى قول " القلقشندي " أعلم أن هذا الديوان (الرسائل) أول ديوان وضع الإسلام ، وذلك إن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يكاتبه أمرائه، وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه

[1] طه حسين من تاريخ الآداب العربي ، دار العلم للملاين ص 40.
[2] القلقشندي ، صبح الأعشى مج1 ، ج 1 ، ص 40
[3] أمل داعوق سعد ، فن المراسلة عند مي زيادة ، دار الأفاق ، ص 29 .
[4] حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية في الآداب العربي ، ص 46-47 .

وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم للإسلام وبعث إليهم رسله بكتبه وهذه المكتوبات كلها متعلقة بديوان الإنشاء.[1]

إن قول القلقشندي ليس له أدلة قوية إذا لا تلازم بين الديوان الإنشاء وهذه الكتابة إلا يمكن أن توجد إلا يمكن أن توجد إلا في رسائله النبوة .

فديوان الإنشاء وما ادعاه لم يتكلم عنه غيره من أدباء ودارسين لا قبل القلقشندي ولا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الخلفاء الراشدين بل كل مل يمكن قوله وجود حجر أساس الذي يشيد عليه فيما بعد ديوان للرسائل ومنهم من أيد العبارة والأخيرة بقوله:(ويصح أن نعد هذا العمل أول خطوة في إنشاء ديوان رسمي للدولة الإسلامية)[2].

المطلب الثالث : الترسل في مرحلة الخلفاء الراشدين :

بعد أن أكمل الله تعالى دينه ، وأتم نعمته على ناس ، وأدى رسول الله أمانته ، خلفه صديقه ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

أول خليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (تولى الخلافة بعد وفاة رسول صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان أمير المؤمنين في الدولة الراشدة الناشئة ، وكانت الأمور صعبة أمام أعداء الاستلام ، واشتد الصراع بين الروم

والمسلمين وكذلك اليهود وبعض القبائل العربية وكان أمير المؤمنين واقف ضد هذه الإرشادات وستعمل الرسائل لإرسالها إلى القبائل المرتدة لينذرهم عاقبت أفعالهم وكانت الرسائل تمتاز مايلي :

[1] القلشندي ، صبح الأعشى ، ج1 ، ص 91

[2] حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية في الآداب العربي ص 48-49.

- البدء بالبسملة وبيان المرسل والمرسل إليه : (بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر الصديق خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى من بلغو كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه وارجع عنه).

- قوله سلام على من اتبع الهدى الشهادة بوحدانية الله ، أن محمدا عبده ورسوله يعني أن أبي بكر اتبع رسول الله في رسائله .

- التذكير بدين الله وتقوى الله عز وجل وأهمية الالتزام بالإسلام " واني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيبكم من الله .. "

- تعرض لموضوع الرسالة ، ويذكر بوسواس الشيطان ، " ولقد بلغني رجوع من رجع عن دينه بعد أن أقر الإسلام " .

- الخاتمة تنتهي بالإنذار والتحذير (وأن يحرقكم بالنار ويقتلهم كل قتلة وأن يسبي النساء و الذراري ولا يقبل من أحد الإسلام .... وان أقروا قبل منهم وحملهم على مبتغي لهم) ...[1]

كانت رسالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، تمتاز بما يلي :

- رسالة مكتوبة (خطبة) محكمة الادعاء تناولت مسؤولية الحاكم أكثر فيها

الاقتباس من القرآن الكريم ، **كقوله تعالى :((من يهدى الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا))** [2] ... **وقوله عز وجل : ((إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا .))** [3]

[1] حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية في الآداب العربي ص 48-49.
[2] سورة الكهف ، الآية 17 .
[3] سورة فاطر ،الآية 06 .

- الإطالة لخطورة الموضوع وعظمة الموقف الحاصل فيه بيان وإنذار وتحذير بعد التذكير بالخالق ، والجهل بأمره وإجابة ، الشيطان

- الوضوح والسهولة في الألفاظ .

- الكتابة لم تتغير كثيرة مثل ما كانت عليه في زمن عهد النبوة ولكن كثرة الحروب والمعاهدات زادت من كثرة الكتابة ، ظهر أمر جديد سمي " بعهود الولاية " عهد سيدنا أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .[1] وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه كاتبا لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه [2] وكانت الرسالة تبدأ بلفظ، من أبي بكر خليفة رسول صلى الله عليه وسلم إلى فلان وبقية رسالة على نفس نسق رسالته صلى الله عليه وسلم)[3].

أولا : نص الوثيقة العمرية :

((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان أعطاهم ، أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وصقيمها و بريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن لكنائسهم ، ولا تهد من ولا ينقص منها ولا من خيرها .. (ولا يسمن من أهل مدائن)[4] أن يخرج منها الروم [5] .. فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنهم .... شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان)) .

أهم ما اتصفت به الوثيقة العمرية :

[1] حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية في الآداب العربي ص 49–50.
[2] أحمد الحوفي ، مجلة المورد ، النثر الفني العربي ، النشأة ، ص 30.
[3] القلشندي ، صبح الأعشى ، ، في صناعة الإنشاء ج6 ، ص 38 .
[4] الطبري ، تاريخ الطبري ، دار المعارف ، ج3 ، ط 4، ص 609 .
[5] مي يوسف خليف ، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 42 –43.

- البسملة ثم الإعلان عن طرفي الوثيقة ، ثم عبوديته الله عز وجل ذكر اسمه وصفة أمير المؤمنين
- ذكر وتبين ما يشمله الأمان ومتى وأين وكيف يسرى
- فصل الحديث بعد إجماله
- وقبل الاستشهاد يختمها بالتحذير والعهد الذي يشبه القسم
- اللغة سهلة المعاني واضحة الألفاظ دون إسهاب
- نسق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نسق رسول الله عليه سلام في رسائله من
- حيث الافتتاح والتفصيل بعد الأجمال

ثانيا: رسالة عمر بن الخطاب إلى القاضي أبي موسى الأشعري :

(بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فإنهم إذا ما أدلي إليك فانه لا ينفع تكلم وبحق لإنفاذ له . آس بين ناس في مجلسك... فما ظنك بثواب غير الله عز وجل رزقه . وخزائن رحمته . والسلام عليكم .)[1]

مميزات الرسالة هي :

- بدأها عمر رضي الله عنه بالبسملة وأنهاها بالسلام .
- بين أهمية القضاء وكيف ينفذ بالشكل المناسب .
- سهولة الألفاظ .
- اللفظ على قدر المعنى .

[1] مي يوسف خليف ، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 48-49.

رأي الدكتور مي يوسف خليف :

- الصياغة اللفظية سارت في اتجاهات تقريرين مباشر
- الرسالة شبه خطبت لعدم وجود الصنعة ولا رغبة في إدهاش الجمهور بل هناك
- إقناع وتوجيه وإرشاد
- وجود المعاني الدينية واعتماد المرسلة على الحجة والدليل والإقناع

(اعتبر خطوة ايجابية لتطور الفن الكتابي بلا كلفة مقصودة ولا صنعة ظاهرة لوجود بعد لغوي راق يعلو فيه اللفظ و تتنسق معه دلالته ويؤدي المعنى فيه بإحكام ودقة) [1]

- الرسالة هي علامة بارزة على طريق كاتبة الفنية في عصر صدر الإسلام حيث لا إيجاز ولا صنعة معقدة .

[1] المرجع السابق ص 60-61.